ترجمة

الثانية 2004

معركة الفلوجة

معهد الحرب الحديثة في الأكاديمية العسكرية الأمريكية "MWI"

ترجمة : الخطابي للدراسات
آب - أغسطس 2024

مركز الخطابي للدراسات
Khattabi Centre for Studies

معركة الفلوجة الثانية 2004

معهد الحرب الحديثة في الأكاديمية العسكرية الأمريكية «MWI»

جون سبنسر، جايسون غيروكس، ليام كولن: يوليو/ تموز 2023

ترجمة : مركز الخطابي للدراسات

آب - أغسطس 2024

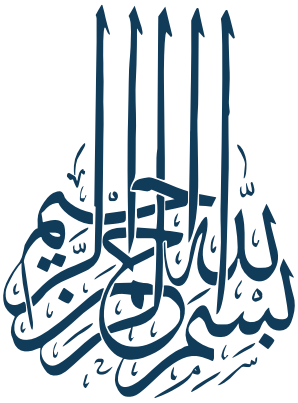
بسم الله الرحمن الرحيم

حدثت معركة الفلوجة الثانية في السابع من نوفمبر/تشرين الثاني واستمرت إلى الثالث والعشرين من ديسمبر/كانون الأول 2004 ضمن عملية حرية العراق. وكما نوهنا في الدراسة السابقة عن معركة الفلوجة الأولى والتي حدثت أوائل 2004، تقع المدينة على نهر الفرات ضمن محافظة الأنبار، على بعد سبعين كيلومتراً غرب بغداد. وهي مدينة صناعية كثيفة السكان، ولها تاريخ مديد، يمتد من تأسيسها كمحطة على طريق الحرير القديم وتفرعاتها التي ربطت بغداد بكبرى المراكز السكانية، مثل حلب في سورية.

عام 2004، كانت التقديرات السكانية للفلوجة تبلغ ما بين مئتين وخمسين ألف إلى ثلاثمئة ألف نسمة. وتبلغ مساحة المدينة خمسة وعشرين كيلومتراً مربعاً، وفيها أكثر من ألفي كتلة سكنية متراصة بشكل شبكي، وفي المدينة أكثر من خمسين ألف مبنىً، معظمها من البيوت الخرسانية بطابقين، مع وجود بعض البيوت الفارهة، والأفنية المسورة، والمنازل غير المكتملة، والمعامل متعددة الطوابق المهترئة في المناطق الصناعية. ويحيط بالمدينة من ثلاث جهات معالم تضاريسية طبيعية وصناعية وهي: نهر الفرات من الغرب، وشبكة سكك حديدية من الشمال، وطريق أوستراد 11 تسير على حافتها الشرقية. وأما الأوستراد 10، فينقسم إلى ستة طرق، ويخترق المدينة من وسطها. وأما باقي الفلوجة ففيها طرق فسيحة تحفها الأشجار والأزقة، امتلأت وقت المعركة الأولى بأكوام القمامة وحطام السيارات.

المعركة

بعد انتهاء معركة الفلوجة الأولى قبل أن تحقق شيئاً في الأول من مايو/أيار 2004، سُلّمت المدينة لوحدة أمنية عراقية شُكّلت حديثا سُمّيت بلواء الفلوجة، ولكن مع مرور الأسابيع تبين شيئاً فشيئاً أن هذه الوحدة لا ترغب في مواجهة التمرد، فاللواء عاجز عن السيطرة على المدينة والكثير من أفراده فروا أو انضموا لصف التمرد[1].

خلال الشهور التالية قَوِي التمرد، وهو ما شجَّع المتمردين وجذب المزيد من المقاتلين لقضيتهم. وفُرِضَت في المدينة شريعةٌ وهابيةٌ متشددة[2]، وأنشأ أبو مصعب الزرقاوي (والذي أصبح قائداً لما عُرِف بتنظيم القاعدة في العراق) مقر قيادة له في الفلوجة، ليخطط منها لشن هجمات ضد قوات التحالف عبر أرجاء العراق.

فأدركت الحكومة العراقية المؤقتة والتحالف أنه لا يمكن إبقاء الفلوجة ملاذاً آمنا للمتمردين والإرهابيين، وكان العراقيون على وشك إجراء أول انتخابات وطنية لهم بعد الغزو في يناير/كانون الثاني 2005، والفوضى واستمرار الهجمات ضد قوات التحالف والعراقية يمكن أن تقوِّض هذه الانتخابات، والأهم من ذلك إمكانية أن يرى المراقبون التمردَ قوةً مُعارِضَة منيعة للحكومة الشرعية إذا ما عجز مواطنو الفلوجة على المشاركة في الانتخابات.

وقد يُضِرُّ هذا بالنظامَ الجديد بشدة، لظهور سلطة حكومته الشرعية بمظهر

(1)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/combat-studies-institute/csi-books/matthews_fajr.pdf

(2) المركز: ينبغي التنويه على أن الكلام لكاتب غير مسلم، لو سلمنا جدلًا صحة توصيفه فلم يكن للتنظيم سيطرة مطلقة على المدينة، بل كانت هناك فصائل كثيرة ومتباينة في مشاربها الفكرية، وقد عمد المحتل الأمريكي لتعميم هذه الصورة على كل أهل الفلوجة، بل وجميع مناطق المقاومة السنية في العراق.

غير المُعترَف به - فضلاً عن مظهر العاجز - في مركزٍ حضريٍ مهم، وهذا ما حفَّز القادةَ السياسيين والعسكريين العراقيين والأمريكيين للاستيلاء على المدينة.

ومع ذلك فقد جادل[1] الكثير من القادة حول طبيعة الهجوم، وانتابتهم المخاوف من التداعيات السياسية لوقوع أضرار جانبية، فَضَمِنَ[2] التحالف للحكومة العراقية تقديمَ الإغاثة الإنسانية ودعم إعادة بناء المدينة المُدمَّرَة أثناء المعركة وبعدها، لمعالجة هذه المخاوف عن الأضرار الجانبية المُتوقَّعَة، فإحدى أهم الدروس المستفادة من معركة الفلوجة الأولى هي أن على التحالف والعراقيين أن يشكِّلوا البيئة السياسية اللازمة لضمان إرادة سياسية تدعم العملية حتى انتهائها، ولا يتركوا لهذه لبيئة أن تتشكل تلقائياً.

وحالما أنشأ قادة التحالف والعراق أهدافاً ومعايير سياسية، سُمح للقوات الأمريكية ببدء التخطيط [للعمل القادم]. وسُمّي الاقتحام الثاني[3] بدايةً بعملية غضب الشبح، ولكن غُيرت لاحقاً لتسمية عربية وهي «الفجر» من قبل رئيس الوزراء العراقي قبل الهجوم[4]، لإظهار الهجوم على أنه عملية تحظى بقبول عراقي، وكانت الأهداف الرئيسية[5] من عملية الفجر مشابهة لأهداف المعركة الأولى في أبريل/نيسان وهي: هزيمة جميع قوات المعارضة واحتلال باقي المدينة، وتصفية جميع مخابئ السلاح للمتمردين ومواردهم التي كانت تديمهم، وتصفية التهديد الذي يمثله أبو مصعب الزرقاوي.

تولَّت الفرقة الأولى من المارينز عملية الفجر ورصدت لها ثلاثة عشر ألف

(1) https://www.amazon.ca/Fiasco-American-Military-Adventure-Iraq/dp/0143038915

(2)https://www.usmcu.edu/Portals/218/Estes%20Into%20the%20Fray%20Boards_Det%20One%20copy.pdf

(3) http://armyapp.forces.gc.ca/SOH/SOH_Content/B-GL-322007--FP-0012006)20%).pdf

(4) https://www.usmcu.edu/Portals/218/FALLUJAH.pdf

(5)https://www.usmcu.edu/Portals/218/Estes%20Into%20the%20Fray%20Boards_Det%20One%20copy.pdf

وخمسمئة جندي أمريكي وبريطاني وألفي عنصر من قوات الأمن العراقية. وضمَّت القوات الأمريكية فريقي فوجين قتاليين[1] للمارينز والعديد من وحدات الدعم القتالي، وكتائب هندسة لسلاح البحرية الأمريكية وقسم شؤون مدنية للمارينز.

تألف فريق الفوج القتالي الأول من كتيبتي مشاة للمارينز (الكتيبة الثالثة التابعة للفوج الأول من المارينز (1/3)؛ والكتيبة الثالثة التابعة للفوج الخامس من المارينز (5/3))، وكذلك الكتيبة الثانية التابعة للفوج السابعة خيالة (قوة مهام 2-7) من الجيش الأمريكي، والكتيبتين الرابعة والثالثة والعشرين من الهندسة البحرية المتنقلة.

وتكوَّن فريق الفوج القتالي السابع من كتيبتي مشاة للمارينز[2]، وهما الكتيبة الأولى (التابعة للفوج الثامن من المارينز والكتيبة الأولى التابعة للفوج الثالث من المارينز)، والكتيبة الثانية التابعة لفوج المشاة الثاني (قوة مهام 2-2) من الجيش الأمريكي.

ويدعم كلَ فريق فوج[3] قتالي مهندسون، وشرطة عسكرية، ومنصات جمع المعلومات الاستخباراتية، وطائرات مُسيَّرَة، ومدفعية إسناد، وطائرات أي سي -130، ومروحيات هجومية، وطائرات إسناد جوي قريب، وكُلِّفت وحدات من الجيش الأمريكي وهي فريق اللواء القتالي الثاني[4]، وفرقة المشاة الثانية؛ والكتيبة الأولى من فوج بلاك واتش للجيش البريطاني؛ والقوات العراقية بعزل المدينة. بينما كُلِّفَت أربع كتائب عراقية بأن تتبع الوحدات الأمريكية وتطهِّر أي مبانٍ تجاوزتها الوحدات الأمريكية في أثناء التقدم.

(1) https://www.amazon.ca/Fiasco-American-Military-Adventure-Iraq/dp/0143038915

(2) https://www.usmcu.edu/Portals/218/FALLUJAH.pdf.

(3) https://www.amazon.com/Understanding-Urban-Warfare-Liam-Collins/dp/1912440350/

(4) https://mca-marines.org/wp-content/uploads/Operation-Phantom-Fury-Pt.-I.pdf

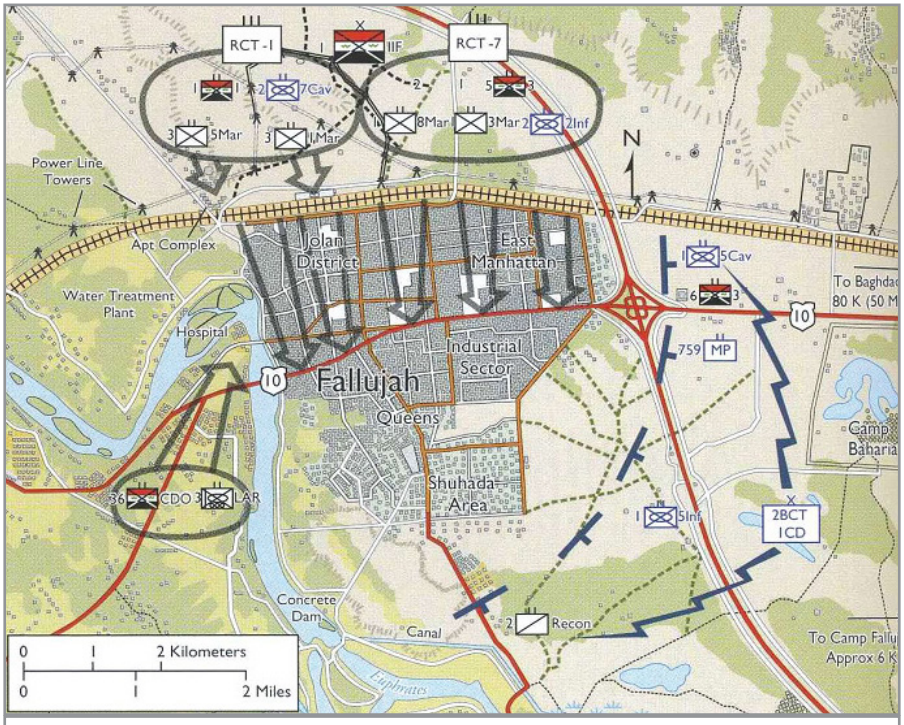

طرق

شارع رئيسي

أوستراد

طرق ترابية

وحدات المارينز الأمريكية

فريق الفوج القتالي RCT

كتيبة مشاة

كتيبة استطلاع مدرعة خفيفة

كتيبة استطلاع

حدود البلدية.

المنطقة العامة للقوات الساترة.

مواقع صدّ.

وحدات الجيش الأمريكي

فريق اللواء القتالي BCT

كتيبة مشاة (ميكانيكية).
كتيبة خيالة.

كتيبة شرطة عسكرية MP

وحدات عراقية

لواء

كتيبة

خريطة المعركة

بحلول نوفمبر، كانت أعداد المتمردين داخل المدينة قد بلغت قرابة ثلاثة آلاف مقاتل[1]، وبينما كان التحالف يخطط لهجومه، كان المتمردون منشغلين بتخطيط دفاعهم وتنظيمه، فحصَّن المقاتلون دفاعاتهم وصنَّعوا مئات العبوات الناسفة من جرار الغاز، وبراميل البنزين، ومواد أخرى مختلفة، وفتحوا ممرات خلال الجدران ضمن المباني وبينها، وأحكموا إغلاق الأبواب والأسطح.

وحفروا الخنادق والأنفاق تحت البيوت لجعلها منافذَ للهروب وممرات مناورة للتسلل خلسة إلى مخابئ الأسلحة وواقيات الرصاص والذخيرة[2]. وظنوا بأن هجوم التحالف سيأتي من الجنوب أو الجنوب الشرقي، فركَّزوا معظم دفاعاتهم على الحافات الشرقية والجنوبية من المدينة.

وفي أثناء التخطيط للمعركة، أمعنت قوات التحالف النظر في معركة الفلوجة الأولى والدروس المُستفادة منها وطبّقتها. وإحداها هي أن نجاح الهجوم على المدينة يتطلب وقتاً كافياً لجمع المعلومات الاستخباراتية، والتخطيط للعملية، وتحضير القوات وموضَعَتِهَا. ولذلك انتظرت قوات التحالف لحين نوفمبر/ تشرين الثاني حتى تبدأ هجومها، ونتيجة لذلك، تضمنت عملية الفجر تحضيراً استخباراتياً شاملاً للبيئة الحضرية، وما يكفي من الوقت للتحضير؛ سواءً من حملة عمليات التشكيل والخداع والإعلام الموسعة؛ والتعزيز اللوجستي الباهر؛ وخطة الإسناد الناري المحكم.

استغرق التحضير الاستخباراتي للبيئة الحضرية والتدريب عليها عدة أشهر، وكجزء من إجراءات التحضير الاستخباراتي[3]، رصدت قوات التحالف تجمعات المتمردين، وعقد قيادتهم وسيطرتهم، ونقاط التفتيش، ومواقعهم القتالية،

(1) https://www.nytimes.com/200408/11//international/with-airpower-and-armor-troops-enter-rebelheld-city.html

(2) https://www.amazon.com/House-Soldiers-Sgt-David-Bellavia/dp/1416546979/

(3) http://shop.strategyandtacticspress.com/ProductDetails.asp?ProductCode=MW23

ونقاط المراقبة، والمواقع المُحتَمَلَة للقناصين، ومتاريس الطرق، ومخابئ الأسلحة، والسواتر الترابية، ثم نشروا المعلومات حتى أدنى المستويات على مر الأسابيع التي سبقت العملية.

وخلال شهر أكتوبر/تشرين الأول، نالت وحدات الجيش والمارينز[1] الوقت الكافي لاستيعاب إجراءات العمل الموحَّدَة للتكتيكات والأساليب والإجراءات، بحيث تحقق التكامل التام فيما بينها مع بدء المعركة، وصُمّم التخطيط والتدريب بحيث لا يحقق التحالف النصر فحسب، بل أن يتحقق ذلك النصر بأسرع ما يمكن، نتيجة نفور التحالف من الدخول في معركة مدن طويلة.

ووُجِّهَت العمليات التشكيلية[2] أساساً لإقناع المدنيين بمغادرة المدينة، وتضليل المتمردين عن اتجاه الهجوم الرئيسي، لذا قام الإعلام والخداع بوظيفة هامة في التحضير للعملية.

وتنوَّعت خطة الخداع من إلقاء المناشير، وبناء قاعدة عسكرية وهمية[3]، إلى تنفيذ هجمات جسّ نبض على أطراف المدينة بما أبقى على قناعة المتمردين بأن الهجوم سيأتي من الجهة الجنوبية الشرقية.

وزجّت قوات التحالف بجهد هائل لتحقيق الهيمنة المعلوماتية (الإعلامية) والحفاظ عليها؛ الدرجة أن العشرات من الصحفيين[4] كانوا مع وحدات التحالف، وطوروا ونفذوا حملة إعلامية موسعة لكشف العنف الذي قام به المتمردون ضد المدنيين وقوات الأمن العراقية في الفلوجة، وتضمَّنَت الحملة أيضاً أعمالاً كثيرة لتشجيع خروج المدنيين من المدينة قبل المعركة، وثبتت

(1) https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/combat-studies-institute/csi-books/matthews_fajr.pdf

(2) https://apps.dtic.mil/dtic/tr/fulltext/u2/a463934.pdf

(3) https://www.amazon.com/Understanding-Urban-Warfare-Liam-Collins/dp/1912440350/

(4) https://www.usmcu.edu/Portals/218/FALLUJAH.pdf

فعالية الحملة مع بقاء ثلاثين ألف مدني فقط مع بدء المعركة[1]. وهذا قلل من وقائع قتل المدنيين وإصابتهم واحتمالية تولد ضغط سياسي قد يقطع المعركة مرة أخرى مبكراً خوفاً من الخسائر في صفوف المدنيين.

وأعدّ التحالف إعدادات تكفي لخمسة عشر يوماً من الإعاشات، والمياه، والوقود، والذخيرة - زادت عن أحد عشر مليون طلقة - وغيرها من المواد على مشارف المدينة، بحيث يعيدون تموين قوات الخطوط الأمامية بسرعة، باستخدام عربات مدرعة، واستخدام نفس العربات لإخلاء الجرحى. وأنشأ التحالف أيضاً نقاط صيانة[2] قرب المدينة لتخديم العربات حتى تعود إلى المعركة بأسرع ما يمكن.

وأخيراً بدأ المارينزُ الاقتحامَ مساء السابع من نوفمبر/تشرين الثاني، اقتحمت قوة مهام وولف باك[3] (التي تتكوَّن من سرية من كتيبة الاستطلاع المدرعة الخفيفة الثالثة من المارينز، وسرية مشاة معززة من الكتيبة الأولى التابعة للفوج 23 من المارينز، وسرية مشاة ميكانيكية مُعزَزَة من الكتيبة الأولى للجيش الأمريكي التابعة لفوج المشاة التاسع، وكتيبة المغاوير العراقية 36) سريعاً الجزء الغربي من الفلوجة، عند انعطافة نهر الفرات، وسرعان ما أمَّنَت المستشفى وجسرين امتدا على الممر المائي.

وفي أثناء التحضير الاستخباراتي المطوّل للبيئة، أخذت قوات التحالف في الحسبان احتمال أن يستخدم التمرد المستشفى مقراً للقيادة للعسكرية، فعملت على الاستيلاء عليه سريعاً، ولولا هذا لادعى المتمردون أن هجوماً ضخماً يجري على المستشفى، بحيث يُستَخدَم هذا الخبر لقطع الدعم السياسي عن العملية،

(1) http://shop.strategyandtacticspress.com/ProductDetails.asp?ProductCode=MW23

(2) http://shop.strategyandtacticspress.com/ProductDetails.asp?ProductCode=MW23

(3)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/Primer-on-Urban-Operation/Documents/Breaking-the-Mold.pdf

بما يشبه ما حدث في أثناء معركة الفلوجة الأولى، لذا كان تأمين المستشفى ضرورة للتخلص من مقر سيطرة محوري، بينما تأمين الجسور يحرم المتمردين من حرية الحركة.

وفي الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني، نفَّذَت قوات التحالف حملة قصف جوي استمرت لاثنتي عشرة ساعة، مُركِّزَةً على جنوب المدينة وجنوبها الشرقي، حتى يظن المتمردون بأن الهجوم قادم من ذاك الاتجاه. كذلك تعلّم [التحالف] من معركة الفلوجة الأولى خطأ أن يعتمدوا في عزل المدينة على سلسلة من نقاط التفتيش التي يسهل تجاوزها، بل عمدت الوحدات الأمريكية والبريطانية والعراقية هذه المرة إلى عزل المدينة بالوحدات نفسها، عبر تغطية أجزاءٍ كبيرة من المحيط الخارجي مباشرة أو رصدها بالوسائط النارية.

كذلك أُرسِلت وحدات أمريكية إلى الحدود العراقية السورية لغلق نقاط الدخول[1]، وبذلك منعوا تسلل المقاتلين الأجانب، وهكذا منعوا المتمردين من دخول المدينة أو المنطقة، وحتى الخروج منها دون أن تفتشهم قوات التحالف أو تشتبك معهم.

غطى فريق الفوج القتالي الأول شمال غرب المدينة، بينما غطى فريق الفوج القتالي السابع شمال شرقها، وامتدت وحداتهم على طول حافة المدينة الشمالية من الغرب إلى الشرق قرابة خمس كيلومترات.

وقد يسّر الهجوم من الشمال تجنبَ قوات التحالف لأقوى دفاعات المتمردين، فقد ساعدت الخطة الخداعية في إقناع المتمردين بأن الهجوم سيأتي من الجنوب أو جنوب الشرق[2]. وقطعت الشؤونُ المدنية والمهندسون البحريون الكهرباءَ عن المدينة، بغية مزيد من إعاقة عمليات المتمردين. وبحلول المساء،

(1) https://www.amazon.ca/Fiasco-American-Military-Adventure-Iraq/dp/0143038915

(2) https://www.amazon.ca/Fiasco-American-Military-Adventure-Iraq/dp/0143038915

خرقت جميع كتائب فرق الأفواج القتالية ساتر السكة الحديدية [الظاهر في الصورة] الممتد شمال المدينة، ثم بدأت بالدخول[1]. لكن استغرق الخرق مع بعض الوحدات وقتاً أطول بكثير ممّا هو متوقع[2]، واضطرت الكتيبة الأولى التابعة للفوج الثالث من المارينز أن تسلك خرق قوة المهام 2-2 (الكتيبة الثانية التابعة للفوج الثاني من الجيش الأمريكي) حتى تدخل المدينة.

صورة لتفجير الحاجز الترابي (الذي تمر من فوقه سكة) شمال الفلوجة

وطيلة مساء الثامن من نوفمبر وحتى صباح اليوم التالي، طبّقت قوتا مهام 2-2 و7-2 أساليب متفوقة للأسلحة المشتركة، فجمعوا بين المشاة والدبابات والهندسة والاستخبارات والنيران حتى يخرقوا مواقع المتمردين شمال المدينة. وبعض الوحدات لم تطهِّر إلا المباني التي أُطلِقَت منها نيران، بينما تجاوزوا البقية بغية الإسراع بحسب المستطاع، بينما عمدت وحدات أخرى لتطهير كل مبنى، وهو ما جعل تقدمها أبطأ وأكثر تنظيماً.

(1) http://armyapp.forces.gc.ca/SOH/SOH_Content/B-GL-322007--FP-0012006)20%).pdf

(2)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/Primer-on-Urban-Operation/Documents/EyewitnessToWar_VolumeII.pdf

وقد ظهرت بعض التحديات أولَ التقدم، من جراء السماح لقادة الكتائب أن يختاروا أسلوب التقدم، مع وجود المدرعات في بعض الوحدات أو تخصيص أولوية نيران المدفعية أو الإسناد الجوي القريب لأخرى. فالوحدات التي امتلكت مدرعات عضوية (حيث تكون الدبابات جزءاً من قوام الوحدة وتسليحها) استطاعت استخدام المدافع الرئيسية للدبابات للاشتباك مع النقاط الحصينة للعدو.

بينما الوحدات التي افتقرت للمدرعات اضطرت للاعتماد على نيران المدفعية أو الإسناد الجوي القريب، وهو ما أخرها -وخاصة إذا طلبت وحدات أخرى لها أولوية في النيران تقديم نيران بنفس الوقت- فتحويل النيران يستغرق وقتاً وخاصة في البيئة الحضرية. فمثلاً، في التاسع من نوفمبر/تشرين الثاني وفي الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة، تحركت قوة المهام 2-2 والتي لديها مدرعاتها الخاصة أسرع من الكتيبة الأولى التابعة للفوج الثالث من المارينز، فقد أَخَّرَهَا الفشل في الخرق الأولي نتيجة نقص المدرعات.

وهذا الأمر تسبب بنشوء جيب، وعلم العدو بأنه قادرٌ على التحرك إلى غرب قطاع قوة مهام 2-2 إلى قطاع الكتيبة الأولى من المارينز داخل المدينة [والتي لم تشغله الكتيبة بعد]، وحالما تتجاوزهم قوة المهام 2-2، قد يعود المتمردون لقطاع قوة المهام ليلتفوا على القوات الأمريكية من الخلف، أو قد يلتفتون شمالاً فيضربون الكتيبة الأولى من المارينز من مجنبتها الشرقية وهي تحاول التقدم. وهذا الأمر أجبر قوة المهام 2-2 على الاستدارة شمالاً والعودة لتطهير المناطق التي تجاوزتها.[1]

ومع هذه التحديات، استطاعت بعض الوحدات الأمريكية نهاية يوم التاسع من نوفمبر/تشرين الثاني، أن تصل لخط المرحلة فران Fran (الأوستراد 10)،

(1)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/combat-studies-institute/csi-books/matthews_fajr.pdf

أي قرب منتصف المدينة. ومن العاشر إلى الرابع عشر من نوفمبر/تشرين الثاني، استمرت الكتائب الأمريكية والعراقية بالتقدم جنوباً ببطء وانتظام، ولم تُبدِ بعض الأحياء إلا مقاومة بسيطة، بينما أبدت أحياء أخرى مقاومة عنيفة مُفاجئة.

وحدات عراقية

كتيبة

معالم رئيسية

1 المستشفى

2 الجسر الشمالي (القديم)

3 الجسر الجنوبي (الجديد)

طرق

شارع رئيسي

أوستراد

وحدات المارينز الأمريكية

كتيبة استطلاع مدرعة خفيفة

خرائط سير المعركة

اعتمد الأمريكيون لتحقيق النجاح على نمطٍ شاع تطبيقه في حروب المدن[1]، وطبقته القوات الأمريكية في آخن (بألمانيا) إبان الحرب العالمية الثانية وفي معارك مدن أخرى كثيرة. فأولاً تبدأ بالقصف الجوي، ثم تتبعه بالمدفعية أو الهاون، لتأتي فرق مشتركة من أسلحة المدرعات والمشاة والمهندسين، يعملون بالتعاضد لحماية التقدم عبر الشوارع، ويتبعهم مشاة ومهندسون يعملون سويةً لخرق المباني وتطهيرها من الداخل.

امتنع المتمردون عن الهجوم ليلاً (أو عجزوا عن ذلك)، وهذا ما فسح للوحدات الأمريكية في ساعات الظلام بأن يرتاح أفرادهم ويتعافوا ويأكلوا من الطعام المجلوب بحسب الخطة اللوجستية المُنظّمَة بإحكام لإيصال الطعام للأمام، مع تخصيص عدد قليل من الوحدات لمهام التأمين[2].

بعدها استوعب المتمردون بأن القتال في الشوارع يعني الموت المؤكَّد، للقدرة النارية الكثيفة للتحالف؛ ولذا فضلوا بعمومهم القتال انطلاقاً من داخل المباني في مجموعات من أربعة أفراد إلى اثني عشر فرداً،[3] باستخدام أسلحة صغيرة، وقاذفات آر بي جي، وعبوات ناسفة. والغالب أن المقاتلين الذين هاجموا قوات التحالف انقسموا إلى قسمين: قسم عصابات تحاول قَتْلَ أكثر قدر ممكن من القوات الأمريكية ثم الانسحاب عبر منافذ الهروب للقتال لاحقاً[4]، وقسم استشهاديين حاولوا الثبات ليقتلوا أكثر عدد ممكن من الأمريكيين حتى يُقتلوا.

ومثل كثير من معارك المدن الأخرى، كان القتال قريباً وجهاً لوجه، وقد تعلم الأمريكيون استخدام قدرة نارية عارمة لإبادة المُدافِعِين بشراسة أو المُختَبِئين، باستخدام نيران الدبابات وعربات المشاة القتالية برادلي إم 2،

(1) https://www.amazon.com/Concrete-Hell-Warfare-Stalingrad-Military/dp/1472833384/

(2) http://armyapp.forces.gc.ca/SOH/SOH_Content/B-GL-322007--FP-0012006)20%).pdf

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) المصدر السابق نفسه.

والأسلحة الصغيرة، والقنابل اليدوية، والمدفعية، والهاون، والطائرات الحربية.

وبحسب عقيدة الجيش الكندي، يمكن للعمليات الحضرية أن تستهلك أربع أضعاف الذخائر المُستَهلَكَة في بيئات أخرى، نتيجة الخصائص الدفاعية التي تمنحها الأرض الحضرية للمُدافِع، وهو ما يتطلب ذخائر أكثر للتغلب عليها.

مثال عن ذلك، صرح قائد سرية دبابات للمارينز[1]، بأن دباباته رمت ما يقارب 1600 قذيفة مدفع رئيسي، وأكثر من 121 ألف طلقة مدفع رشاش عيار 7.62 ملم، وأكثر من 49 ألف طلقة للمدفع الرشاش عيار 0.5 خلال ثمانية أيام من القتال العنيف، ولم تكن جميع أهدافهم تبعد أكثر من مئتي متر. وصرَّح قائد فصيلة أسلحة [2]مارينز بأن مجموعاته الاقتحامية كانت تستخدم يومياً ست حقائب ناسفة[3]، وثلاث حقائب من طوربيدات بنغالور (لتدمير العبوات الناسفة) وعشر قذائف تُرمى من الكتف.

ورمت قوات التحالف أكثر من أربعة آلاف قذيفة مدفع وعشرة آلاف قذيفة هاون على المدينة. بينما رمت الطائرات الحربية وطائرات الهجوم الأرضي ثلاثمئة وثماني عشرة قنبلة وثلاثمئة وواحد وتسعين صاروخاً وثلاث وتسعين ألف طلقة مدفع رشاش، إسناداً للقوات البرية. ومن حسنات الخطة اللوجستية المحكمة، بأنها أنشأت نقطة تجميع للمؤن شمال المدينة مباشرة، بحيث يسَّرَت تدفق الإمدادات من الذخائر والمياه والإعاشات والمواد الطبية باستمرار إلى الحد الذي أغنى عن الحاجة لإجراء توقف، مما حرم المتمردين من أي فسحة من الوقت لإعادة تجميع أنفسهم.

---

(1) https://www.amazon.ca/Fiasco-American-Military-Adventure-Iraq/dp/0143038915

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) شحنة الحقيبة هي جهاز هدم، مخصص في المقام الأول للقتال، ومكوناته الأساسية عبارة عن شحنة من الديناميت أو متفجرات أكثر قوة مثل المتفجرات البلاستيكية C-4، وجهاز حمل يشبه وظيفيًا حقيبة أو حقيبة رسول، وآلية إطلاق.

وكلما تقدم الهجوم جنوباً، تقدمت نقاط التجميع بما حافظ على سرعة الإمداد وإخلاء المصابين.

ونظراً لصعوبات البيئة الحضرية، كانت هناك الحاجة المستمرة لأن تجري الوحدات تنسيقاً مباشراً (وجهاً لوجه) عبر ضباط الارتباط أو اتصالات الأركان لتعديل حدود الوحدات؛ بحيث تُكيِّف التكتيكات والأساليب والإجراءات؛ وإجراء عبور للخطوط، بغيةَ التغلب على تلك الصعوبات والاستمرار في القتال.

وإذا ما افتقر المارينز لعامل تمكين محدد، مثل عربات قتالية مدرعة أو منظومة سلاح محددة، فيمكن الاتصال بوحدة الجيش الداعمة لهم لتقديمها[1]. وبالمثل يعامل المارينز إذا ما احتاجت وحدة للجيش.

وكما نوه الباحث العسكري والكاتب بينغ ويست[2] بأن جنود الجيش والمارينز الأمريكي في المعركة بأنهم: «تحركوا بانتظام من بيت إلى آخر، ومن غرفة إلى أخرى، حتى غطوا ثلاثين ألف بناء...لم أجد معركة شبيهة بهذه أبداً. حيث خاضت مئة مجموعة مئتي اشتباك ناري داخل الغرف».

بحلول الخامس عشر من نوفمبر/تشرين الثاني، أعلن المسؤولون الأمريكيون بأنهم سيطروا على معظم المدينة، وبأنهم يقاتلون الآن جيوباً معزولة في المنطقة الجنوبية من الفلوجة[3]. واستدارت القوات الأمريكية لتتجه شمالاً مع دعم الوحدات العراقية، فأزالت العبوات الناسفة بحذر وانتظام، ومخابئ الأسلحة، وجيوب المقاومة الصغيرة، واستمر هذا العمل حتى الثالث والعشرين من ديسمبر/كانون الأول. وخلال الأشهر التالية، دعمت مجموعة الشؤون

(1)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/combat-studies-institute/csi-books/matthews_fajr.pdf

(2) https://www.c-span.org/video/?1893361-/after-words-bing-west

(3) http://armyapp.forces.gc.ca/SOH/SOH_Content/B-GL-322007--FP-0012006)20%).pdf

المدنيـة الرابعـة جهـود إعـادة الإعـمار والإغاثـة الإنسـانية[1]، وإعـادة الخدمـات الأساسـية. وسُـمِح للمدنيـين بالعـودة شرط أن يعـبروا مـن حواجـز الدخـول مـع إجـراء فحـصٍ أمنـي لـكل داخـل، مـع محاولـة إعـادة الحيـاة الطبيعيـة في المدينـة.

لكـن وكـما هـي طبيعـة القتـال لم تنتـهِ المعركـة دون خسـائر[2]: إذ قُتِـل مـن الجنـود ثمانيـة وثلاثـون أمريكيـاً، وأربعـة بريطانيـين، وثمانيـة عراقيـين، وجُـرِح قرابـة مئتـين وخمسـة وسـبعين أمريكيـاً، وعـشرة بريطانيـين، وثلاثـة وأربعـين عراقيـاً. بينـما قُـدِر القتـلى مـن المتمردين مـا بـين ألـف إلى ألـف وخمسـمئة، وأُسِر ألـف وخمسـمئة آخريـن، وكذلـك قُتِـل قرابـة ثمانمئـة مـدني[3]. وبمـا يشـابه معـارك المـدن الأخـرى، فقـد تـضررت أكـثر مـن 60% مـن مبـاني الفلوجـة[4] ودُمِـرت 20% تمامـاً مـن جـراء العنـف العـارم المطلـوب لتطهـير المدينـة. وكذلـك تـضررت بشـدة قرابـة 60% مـن مسـاجد المدينـة.

ومـع أن المعركـة تسـببت بغضـب سـنة العـراق، فانسـحب الحـزب الإسـلامي العراقـي (السـني) مـن الحكومـة المؤقتـة، وطالبـت هيئـة علـماء المسـلمين في العـراق (التـي تضـم أكـثر مـن ثلاثـة آلاف عـالم سـني عراقـي) بمقاطعـة الانتخابـات الوطنيـة، وهـو مـا أدى لمشـاركة منخفضـة فيهـا؛ إلا أن الانتخابـات جـرت في يناير/كانـون الثـاني 2005. وأصبحـت معركـة الفلوجـة الثانيـة أشـد قتـال حـضري خاضتـه الولايـات المتحـدة منـذ معركـة هـوي 1968 في حـرب فيتنـام[5] [6].

(1) https://www.amazon.com/Understanding-Urban-Warfare-Liam-Collins/dp/1912440350/

(2) http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/3984575.stm

(3) https://www.democracynow.org/200417/11//red_cross_estimates_800_iraqi_civilians

(4)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/Primer-on-Urban-Operation/Documents/Breaking-the-Mold.pdf

(5) https://www.amazon.ca/Fiasco-American-Military-Adventure-Iraq/dp/0143038915

(6) https://mwi.usma.edu/urban-warfare-project-case-study-3-battle-of-hue/

الدروس المستفادة

قدَّمَت معركة الفلوجة الأولى العديد من الدروس، وقام التحالف (بقيادة الولايات المتحدة) بتوثيقها، وتحليلها، ومناقشتها، والتدريب عليها، وهو ما أنتَجَ بالمحصلة خطة عملياتية لمعركة الفلوجة الثانية. وهذه الإجراءات كانت ضرورية لتحقيق النجاح في معركة الفلوجة الثانية. والمعركة الثانية أيضاً يمكن أن يُستفاد منها على المستويات الإستراتيجية والعملياتية والتكتيكية.

وأول درس في الإستراتيجية نتعلمه من المعركة بأنه يجب إشراك كبار القادة السياسيين والعسكريين إشراكاً تاماً في التخطيط واتخاذ القرار، مع تفهمٍ كاملٍ للوقت والتكاليف المطلوبين لرسم خطة وتنفيذها. فالقادة السياسيون دفعوا المارينز دفعاً للمعركة الأولى نتيجة الضغط السياسي الذي شعروا به بضرورة تنفيذ رد سريع ضد المتمردين الذي قتلوا المتعاقدين العسكريين الأمريكيين، فالخطة العشوائية وتنفيذها أدى إلى سلسلة من النتائج السيئة.

أما في المعركة الثانية، فقد أتاح السياسيون للجيش عدة شهور لرسم خطة فعَّالة، تفوَّقَت على العدو في كل سياق: فقد خصّص التحالف قوات كافية لمدينة بحجم الفلوجة، ونفذوا عمليات استخباراتية شاملة، وخادعوا العدو، وسيطروا على الفضاء المعلوماتي (الإعلامي).

والنتيجة أن قوات التحالف استطاعت السيطرة على معظم المدينة في غضون تسعة أيام فقط، وهذا عمل جبَّار بالنسبة لمدينة بحجم الفلوجة، إذ ترغب الجيوش دائماً بانتصارات سريعة، إلا أن صعوبات حرب المدن وتعقيداتها تجعل حدوث ذلك نادراً في البيئة الحضرية. وتخصيص الوقت الكافي للتخطيط والتحضير في المعركة قلّل الوقت المستهلك في القتال بالمعركة، فالوقت مورد، وينبغي منح الوحدات العملياتية والتكتيكية وقتاً كافياً لتطبيق الإستراتيجية في العمليات الحضرية.

كذلك فإن نجاح العمليات الحضرية يتطلب عمليات معلومات فعالة، وهذا درس إستراتيجي ثانٍ نتعلَّمُه من المعركة. وإن كانت عمليات المعلومات ضرورية في كل البيئات، فإنها الأهم في البيئة الحضرية تحديداً؛ نظراً لأهمية المدن، وحجم الكتلة السكانية وكثافتها، وترابط المراكز الحضرية ضمن شبكات محلية وإقليمية وعالمية.

وفي أثناء المعركة الأولى، استخدم المتمردون العديد من وسائل الاتصال لتصوير الأحداث خارجةً عن سياقها، فأظهروا أمريكا على أنها طرف شرير، والاستعجال السياسي في الدفع بالمعركة الأولى، حال دون إتاحة الوقت الضروري لرسم حملة عمليات إعلامية فعالة تكافح دعاية المتمردين.

فلم تنل أمريكا دولياً من ذلك الشجب والتشهير فحسب، بل تخوَّف الساسة الأمريكيون والعراقيون من تبعات هذه المعركة على تماسك التحالف، وهذا أدى لتدخل كبار السياسيين في أدق تفاصيل المعركة ومن ثم إنهائها مبكراً، بعد الهجوم العشوائي الأمريكي بقرابة شهر مما أتاح للتمرد إعلان النصر.

لم يكرر التحالف هذا الخطأ في المعركة الثانية، بل دمج حملة عمليات المعلومات بدقة في الخطة العملياتية، بدلاً من أن يضيفوا فيما بعد ضمن العمل ترقيعاً، وهذا مكّن حملة التحالف الإعلامية الموسعة، من فضح العنف الذي قام به المتمردون في الفلوجة، قبل المعركة وأثناءها، وتداركت الحملة أيضاً أهمية الشفافية الكاملة، فأرفقوا عشرات الصحفيين بالوحدات الأمريكية، وقد أقنعت الرسالة الإعلامية المُطَّردة والشفافية معظم المدنيين بالهروب من المدينة قبل المعركة، واستطاعت خطة عمليات المعلومات أن تقنع الشعب العراقي والرأي العام العالمي بأن التحالف أكثر أخلاقية.

والدرس العملياتي الأولى من هذه المعركة، هو أن العمليات الحضرية تتطلب

تحضيراً استخباراتياً شاملاً عن البيئة من المستوى التكتيكي إلى العملياتي. ونعيد فنقول بأن الوقت مورد، وأن البيئة الحضرية معقدة جداً، والمعلومات فيها أكثر من أن تُستوعب جمعاً، وتُستوعب العوامل تحليلاً، بما يفرض علينا منح أفراد الاستخبارات (ومن يعمل معهم عن كثب من المخططين) مدةً طويلة لجمع المعلومات وتحليلها، بحيث نتمكَّن من إعداد خطة فعالة بناءً عليها.

لم يتولَ المارينز الذين أُمِروا بتنفيذ الهجوم السريع في المعركة الأولى مسؤوليةَ المدينة إلا لقرابة أسبوعين، فلم يفهموا المدينة التي أُمروا بالدخول إليها سريعاً وتطهيرها. أما المعركة الثانية، فأمضى الجيش الأمريكي والمارينز من مايو/أيار إلى نوفمبر/تشرين الثاني في التحضير الاستخباراتي لفهم صعوباتها فهماً شاملاً، وعليه أَعَدُّوا خطة تتغلب على تلك الصعوبات.

بنهاية أكتوبر/تشرين الأول، استطاعت الاستخبارات الأمريكية بدرجةٍ عالية من اليقين اكتشاف مواقع المتمردين من تمركزات، وعقد قيادة وسيطرة، ونقاط تفتيش، ومواقع قتالية، ومراصد، ومواقع محتملة للقناصين، وسدود طرق، ومخابئ أسلحة، وسواتر ترابية، ووُزِّعَت المعلوماتُ إلى أدنى مستوى تكتيكي، حتى لا يباغتهم العدو.

والدرس الثاني العملياتي للمعركة، هو أن على الوحدات المهاجمة أن تعزل المدينة حتى تمنع عنها التعزيزات وإعادة الإمداد للمقاتلين. في المعركة الأولى كُلِّف فريق فوج قتالي واحد مؤلف من أربعة كتائب فقط بتنفيذ العملية، فأنشأ المارينز سلسلة من نقاط التفتيش حول المدينة، لكنها كانت متباعدة للغاية، وهذا الأمر يسّر على المتمردين أن يدخلوا للمدينة ويخرجوا منها سراً. ولتلافي هذا الضعف في المعركة الثانية، أضاف التحالف على هذا الفوج فريقَ فوج قتالي آخر، وكتيبةً من الجيش البريطاني، وأربعة كتائب عراقية، وقوتي مهام بحجم كتيبة للجيش الأمريكي.

فأصبحت القوات كافية لعزل المدينة ومنع أي أحد من الدخول إليها أو الخروج منها دون أن يُرصَد. وبهذا استنزف المدافعون مواردهم – من رجال، وذخيرة، ومياه، وطعام، ومواد طبية – بنهاية المعركة وعجزوا عن الاستمرار في القتال.

وظهر في التاريخ مراراً، بأن المُهاجِم الذي يعزل المدينة، يُقصِّر من طول المعركة ويقترب من النصر، وأما ترك التعزيزات والإمدادات تصل للمُدافِع عبر الثغرات، فيطيل معارك المدن ويبعد النصر عن المهاجم وتزيد من كلفة المعركة باستهلاكه لموارد أهم، والواقع أن العزل التام صعب للغاية، وأحياناً يستحيل في المدن الكبرى، وفي حال الأخيرة على المخططين أن يُقسِّموا المدينة لقطاعات، ويعزلوا الواحدة تلو الأخرى مع تقدم المعركة.

والعملياتُ الحضرية مُستهلِكَةٌ للموارد، فتتطلب خطةً لوجستية وإدامة محكمة، وهذا درس عملياتي **وتكتيكي** على حدٍ سواء، وبحسب عقيدة الجيش الكندي، فإن العمليات الحضرية خسائرها ثلاثة إلى ستة أضعاف عن عمليات بيئات أخرى، وتستهلك أربعة أضعاف كميات الذخائر، وتحتاج لضعفين ونصف من الطعام والمياه لكل جندي. وتعَلَّمت قوات التحالف هذا الدرس في أثناء المعركة الأولى، فأدرك المخططون أهمية تكديس المؤن، وإعداد خطة إدامة مُحكَمة للمعركة الثانية، وخاصة أن حجم القوة هذه المرة كبير.

واستغرق الأمر وقتاً لإيجاد نقاط تجميع المؤن، وتجهيزها، والتخزين فيها وحمايتها، وقد أُفسِحَ الوقتُ للمارينز للقيام بكل هذا، ومثلما فعل الأمريكان في الحرب العالمية الثانية، أنشأ اللوجستيون نقاط التجميع والصيانة على مشارف المدينة، كي تتموَّن الوحدات وتُخلى خسائر الأفراد والعربات سريعاً. ومواكبةً لتقدم الوحدات الأمريكية، يُدفَعُ بهذه النقاط حتى تُقصّر خطوط الإمداد بقدر الإمكان.

وقطعاً كانت هناك حاجة مستمرة لحماية هذه النقاط والأفراد اللوجستيين وعرباتهم، كونهم اقتربوا من خطوط الجبهة، والعدو قادرٌ على التحرك خلال البيئة الحضرية غيرَ مرصود. ويفرض هذا إخضاع اللوجستيين لتدريبٍ قتالي، أو تخصيصهم بوحدات أسلحة قتالية إضافية لحمايتهم. والفائدة من تقريب الإمدادات هي أنها تُسَهِّلُ على المهاجم الاستمرار في الهجوم دون الحاجة لتوقف متعمد بغرض إعادة الإمداد، وهو ما يزيد من احتمالية النصر.

والدرس التكتيكي الثاني، هو أن العمليات الحضرية تتطلب مناورة فعَّالة بالأسلحة المشتركة، باستخدام جميع عوامل التمكين المتاحة، فالبيئة الحضرية معقدة، ويجب أن تُدرَّب تلك الوحدات تدريباً كاملاً، وبقابلية عمليات توافقية (مشتركة) مسبقاً. وقد أدرك مخططو التحالف بأنهم يحتاجون لتخصيص قوات أكثر للمعركة الثانية، فكلّفوا قوتي مهام بأسلحة مشتركة، مع إلحاق وحدات بفرق الأفواج القتالية، ولكن هذه الوحدات لم تعمل من قبل سوية أبداً.

وقد أظهر إدماج كتائب الجيش الأمريكي ضمن فرق الأفواج القتالية للمارينز والتشارك في عوامل التمكين عند الحاجة، قدراً باهراً من العمل بروح الفريق[1]، وشكّل روابط وثيقة بين وحدات الجيش والمارينز زادت من فرص النجاح القتالي دوماً، واستطاع فريقا الفوجين تأمين مدينة بهذا الحجم خلال تسعة أيام فقط، مع بضعة أسابيع إضافية لتطهيرها بعد ذلك تطهيراً تاماً، وهذا عمل مبهرٌ، فمعارك المدن عادةً ما تستغرق بضعة أسابيع أو أشهر.

(1)https://www.armyupress.army.mil/Portals/7/combat-studies-institute/csi-books/matthews_fajr.pdf

الخلاصة

أتاحت معركة الفلوجة الأولى للقوات الأمريكية جمعَ دروس عميقة إستراتيجياً وعملياتياً وتكتيكياً – شرحناها في مقالة سابقة – وطُبّقت بنجاح في أثناء المعركة الثانية. ومن الطبيعي ألا تبلغ أي عملية عسكرية الكمال، فلا تزال هناك دروس كثيرة نتعلمها من المعركة الثانية.

فالمعركة وإن كان الكثير يشيدون بها على أنها نموذج نجاح جدير بالتدريس، فمن المهم أن نُذكّر بأن الوحدات العراقية والتحالف مُنِحوا أشهراً عديدة للتحضير لهذه العملية والقوات اللازمة لتنفيذها ولن تنعم هذه الوحدات دائماً بالوقت الطويل والموارد الكبيرة.

ملاحظة: المصطلحات والآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز

alkhattabirw